مناحة الفن

(رثاء المثال محمود مختار)

روائعَ الفنّ ! ماتَ الفنُّ والعيدُ ... وماتتْ اليومَ فى الجوّ الاناشيدُ (١)
أنتِ اليتيمةُ والأعمامُ (٢) شأنُهمو ... شأنُ اليتيمِ ، فلا عَوْنٌ ولا عيدُ
مات الذى روحُ مصرٍ فى تَفنُّنِهِ ... حتى تجلَّتْ بنجواه الجلاميدُ
الجاعلُ الصخرَ حيّاً فى أناملِهِ ... ونبضُه بشعور الفنِّ مشهودُ
والخالقُ المثَلَ الأعلى وإنْ خُبِئَتْ ... رموزُهُ ، وكأنَّ الكشفَ تبديدُ
والمُبدعُ الحُسْنَ أعضاءً وأنسجةً ... تَشِفُّ ، فهى مَعَانٍ وهى تجسيدُ
رزءٌ له يخرسُ الإفصاحُ من وَلَهٍ ... فعاد يُنطِقُهُ حُبٌّ وتمجيدُ
أنا الطليقُ بأصفادٍ .... فواعجباً ! ... وكم شجانىَ تحريرٌ وتَصفيدُ ؟ !
إنّ التجاوبَ إشراكٌ وإنْ بَعُدَتْ ... أسبابُهُ .... ليس فى التبعيدِ تبعيدُ
لئن رَثَيتُ فشعرى مِنْ مَناهلِهِ ... والشعرُ كالنحتِ إحساسٌ وتخليدُ
ما بالُ شِعرى وما بالى بلا أَمَلٍ ... كأنما التهمتْ تأميلَنا البيدُ ؟ !
كأنما فى صحارى الدَّهرِ غيبتُهُ (٣) ... كما تحجَّبَ مكنوزٌ ومعبودُ
واحسرتاه ! فقد ضاعتْ بضيعتِهِ (٤) ... مِن ذلك السرِّ آياتٌ وتَشييدُ
وقد تعثر أحجانا وأحصفُنا ... كالأدعياء ، فما التسديدُ تسديدُ

---

(١) اشارة الى الربيع (٢) اشارة الى الفنانين الآخرين (٣) أى الامل (٤) الفقيد المرثى ،

وليس كلٌّ غِنانا عند حسرتنا ... إلاَّ الخصاصة ، والتفنيدُ توكيدُ
كأنَّما روحُه أرواحُنا ، فمضتْ ... دُنيا من الفنِّ ، فالموجودُ مفقودُ !
والهفةَ الأدبِ العالى بمُلْهِمِه ! ... مَضَى الجمالُ ، فهل تُغْنى الأغاريدُ ؟!
أيقتل الدَّرَنُ (١) العاتى مجدَّدَنا ... بالفنِّ ، والفنُّ إحياءٌ وتجديدُ ؟ !
لمَنْ تَعيشُ (عروسَ النِّيل)(٢) بعدَ أبٍ ... العيشُ مِنْ بَعْدِهِ ذلٌّ وتَشريدُ ؟
ترَى الرشاقة فيها كلُّها حَزَنٌ ... تَوَدُّ لو يَفتديهِ الحسنُ والجُودُ
مَثَّالُ (مِصْرَ) بمعناها وروعتها ... فاليومُ للأمسِ مِرْآةٌ وترديدُ

* * *

تَمشيتُ فى الموكبِ المصدوع منصدعاً ... وقلبُ (نهضةِ مصرٍ) منه مفؤود
والنعشُ كالهيكل المرفوعِ حفَّ به ... مِنَ المناجينَ ايمانٌ وتأييدُ
سِرْنا ولسنا عديداً بينما طفحَتْ ... نفوسُنا بأسًى يَعدوه تحديدُ
كأننا نحن (مصرٌ) رغمَ غيبتها ... أو أننا للأسى الصخَّابِ تمهيدُ
أسًى سيشمل (وادى النيلِ) أجمعَهُ ... وقد أناختْ به أيَّامُه السُّودُ
أسًى ولا كالأسى ، فالفنُّ مِيتَتُهُ ... أقسَى من الموتِ ، لو فى الموتِ محمودُ !

* * *

يا مُرْعِشَ الحجرِ البسَّامِ فى صُوَرٍ ... من الانوثةِ ! ... هذا الصخرُ محسودُ !
وآسرَ النظرةِ العَجْلى بلا أمَدٍ ... الموتُ كالناسِ مأسورٌ ومجدودُ !
أينَ التى زدتَها وحياً وتكرمةً ... وكيف لم تزدحم فى المأتمِ الغِيدُ ؟
وكيف لم ينتظمنَ الناسَ فى حَرَقٍ ... وتلك (طِيبةُ) أحزانٌ وتسهيدُ ؟
و (الرمسيومُ) كأرماسٍ بها دُفِنَتْ ... خواطرٌ لكَ خانتها المواعيدُ ؟
أين التى قَدَّها المشوقُ ثورتُهُ ... فى فنِّكَ الحىِّ إثراءٌ وتعييدُ ؟
ونَهْدُها ذلك الوثَّابُ مِنْ حَجَرٍ ... وجِيدُها صَخْرُكَ الفتانُ لا الجِيدُ ؟

---

(١) مرض الفقيد سبع سنوات بالدرن (السلال) حتى قضى عليه فى آلام مبرحة .
(٢) أشهر تماثيل مختار ، وقد اشترته الحكومة الفرنسية ووضعته فى متحف تصر اللوبلبرى بباريس

أَحْرَى الأَنامِ بأحزانٍ وتعزيةٍ ... منّا ، فهل ردّها أو صَدّها العيدُ (١)
لو تحمل النعشَ زكّاها وقدّسها ... كأنما هو تكريسٌ وتعميدُ
مُتَّ الشهيدَ لمغزاها وفتنتها ... وذاك حُبُّكَ تُغنيهِ الأناشيدُ
ولو رُفِعتْ شهيداً فوق هامتها ... فمن سِوَى الفنِّ جبّارٌ وصنديدُ ؟
روحٌ كروحِكَ غلاّباً ومنهزماً ... هو الكميُّ ، ومَنْ عاداهُ رعديدُ
وهو الحريُّ بمجدِ الحُبِّ إن عطلتْ ... دُنيا الأنامِ وخانته التقاليدُ

أحمد زكي أبو شادي

ريشة مختار

ريشةُ الفنِّ غدتْ بعدكَ فنّا ... أخرساً ... أطيافُه تنطق حُزْنا
حَذِرَ الموتُ وقد مرَّ عليها ... أن يُريهِ الموتَ تمثالاً مجنّا
مصّها الجانى وكانت غَضّةً ... تسكبُ الإلهامَ فى الصخر وتفنى
لم يَغِبْ عنها وقد ضمَّ هواها ... معجزاتِ الفنِّ أن توحيه معنى
فَهْوَ فى إطراقها معجزةٌ ... نحتَتْ من صمتها المرهوب سجنا
جَزِعَ الصَّمْتُ حواليْها وأنّتْ ... صُوَرُ الفنان فى واديه أنّا
« نحو ماء النيل » سارتْ غادةٌ ... حملت قلباً وديعاً مطمئنّا
خدِرَتْ أقدامُها حزناً .. وكادتْ ... تَحْطِمُ الجرّةَ لما غِبْتَ وَهْنَا
وترى النِّيلَ وقد أبدعت منه ... ساريات زادها المنقاشُ حُسنا
صَخِبتْ أمواجُه حتى تراءتْ ... عالماً فى مأتم النسان جُنّا
وأبو الهول رأى نعشك يسرى ... فى ركاب الدمع والآهات مضنى
يلطمُ الفنُّ على فنٍّ مسجّى ... لفَّهُ الموتُ فأضحى مستكنّا

(١) دفن الفقيد فى اليوم الثالث من أيام عيد الاضحى ، ولم تشترك بنات مصر فى جنازته مع أرمختاراً وقف فنه على تمجيد المرأة المصرية .

فعرته وثبةُ المرتاعِ يبغى أن يَردَّ الكربَ فى باريه أمنَا
فقسا الصخرُ ولم يُسعفْ مناهُ لو لِغيرِ الموت لاقى ما تمنى
يا نقوشاً فتنتْ باريسَ حتى أشرقت آيانها فى كلِّ مغنى!
حدّثتْ عن مجد وادٍ كم رماهُ صلفُ الغرب بجهلٍ وتجنى!
عاهلُ المنقاش سوّاها فأبدت فى رُبوع الفن تَختاراً وزينَا
خَلدتْ والموتُ أفنى مَن براها لن ينال الموتُ فناناً وفنَّا!

محمود حسن اسماعيل

على قبر أبى

وكان الليل حولى مكفهرّا وكان على القبور يموج بحرا
وكنت أزورها قبراً فقبرا أغادر حفرةً وأؤمّ أخرى
بنفسٍ جمّةِ الآلام حرّى
دخلت مدينة الأموات وحدى وكان الليل كالزنجىّ يبدى
إهاباً أسوداً فسحبت بُردى علىّ وسرتُ فى رفق أؤدّى
أبى حقاً دموعى منه تترى
مشيتُ وكنت أعثر بالعظامِ عظام الهامدين من الأنامِ
مبعثرة تطلّ من الرغامِ مشيت ولم أخفْ مما أمامى
ولو أحدٌ رآنى لافشعرّا
مشيتُ خلال هاتيك القبور كأنى الميْتُ قام من الحفيرِ
فصاح البوم فى صوتٍ جهورِ ألا يا حىّ رفقا فى المسيرِ
لئلا توقظ الأموات طرّا!
مشيتُ هناك وحدى لا أبالى بصوت البوم يأتى عن شمالى
تصفحتُ القبور كشأنِ تالى سطوراً فى قراطيسٍ بوالى
الى أن شِمتُ قبرَ أبى الأغرّا

هناك هناك ملتُ على الضريحِ بقلبٍ من هوى ليلى جريحِ
فقلتُ بلهفةٍ : يا نفس بُوحى الى الموتى بسرّك أو فنوحى
من اليأس الذى فيك استقرّا

فخلتُ كأن روح أبى الضّجيعِ هوَت توّاً ترانى فى خشوع
أضمّ القبرَ كالطفل الرضيعِ وأذرف فوق مرمره دموعى
تحاكى إذ تسيل عليه درّا

وصحتُ فحرك الاحلاك صوتى: اذا يا نفسُ فى يومِ رجوتِ
هدوءاً فى حياتك كم صبوتِ اليه سدى فذلك يوم موتى
غداة أنال فى قبرٍ مَقرّا

أبى انظرْ كيف خلاّنى هوايا حطامَ سفينةٍ ذهبت شظايا
على بحر الهوى إلا بقايا بها قذفت الى الشط المنايا
ألا بئس الهوى شطاً وبحرا

أبى لولاك لم أرَ ما أعانى من الحزن المعشّش فى جنانى
جنيتَ علىّ يا ربَّ الحنانِ بقذفكَ بى الى هذا الزمانِ
لتدرك لذة من ذاك كبرى

لو انك لم تُحِلْ عدمى وجودا لكنت بقيتُ فى عدمى سعيدا
قذفت ـ فزدت للدنيا العبيدا ـ بعبدٍ سمتَه منها القيودا
يودّ لو انه ما زال حرّا

أبى اشفعْ لى بربك عند ربى ليرثى فى هوى ليلى لقلبى
وإن لم يقضها لى فليبّ ندائى للردى وبجازِ حبى
لليلى الموتَ، نعم الموت أجرا

أبى لو كان لى من قبل خلقى ذنوبٌ للحياة قضتْ برقى

لما كانت لى الشكوى بحقّ من العيش الذى يبكى ويُشقى
ومن دنيا تُرى يأساً وشرا

إلهى كم أنوحُ وكم أقاسى هموماً أفعمت يا ربّ كاسى
وكم أرجو فترمينى بياس وكم أضنى فلا أحظى بآسى
فأبكى قائلاً : يا نفس صبرا

عشقتُ فلم أذق للنوم طعما وكدت من البكاء أصير أعمى
ولولا أنّ لى يا رب أمّا تكفكف منّىَ العبرات لما
تسيل لكنت أثوى اليوم قبرا

علام أرتنى (ليلى) وفيما هويتُ فلم أجد الا الهموما ؟
فجسمى خيل من ضعفٍ نسيما وقلبى بات من شغفٍ سقيما
وعيشى بات مثل الصبر مرّا

ولكن ليس لى فى ذا الشقاء وفى هذى التعاسة من عزاء
سوى أنى الى دار الفناء أعود غداً فيشفى الموت دائى
وفيه يحتوينى القبر مرّا

خُلقت من التراب ، وللترابِ أعود ، وتلك خاتمة الكتابِ
كتاب العيش بل سفر العذاب فان يكُ للمعيشة من ثوابِ
فذاك الموت ان ، النعى بشرى

صوير ابراهيم ابرانى